حج الأبرار وصَدّ الفجَّار

□ حج الأبرار وصَدّ الفجَّار □

• **أخـي : إن الملائكة تحج أفلا تحج !!**

قـد أقسـم الله تعـالى فـي كتـابـه الكـريم بكعبـة المـلائكـة ، فقال تعالى: ﴿ **والبيت المعمور** ﴾[1]. يقول ابن كثير : ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة : « ثم رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم » . يعني : يتعبدون فيه ، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم .

والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ، ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، لأنه باني الكعبة الأرضية ، والجزاء من جنس العمل [2].

وذكر ابن كثير أن البيت المعمور بحيال الكعبة – أي فوقها – لو وقع لوقع عليها ، وذكر أن في كل سماء بيتا يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه ، والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة .

وهذا الذي ذكره ابن كثير مِنْ أن البيت المعمور بحيال الكعبة مرويٌّ عن علي بن أبي طالب .

أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة أن رجلًا قال لعلي رضي الله عنه : ما البيت المعمور ؟ قال : بيت في السماء يقال له : الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل

(١) سورة الطور : آية ٤ .

(٢) لي رسالة [الجزاء من جنس العمل] ، يسّر الله طبعها قريبا .

يوم سبعون ألفاً من الملائكة ولا يعودون فيه أبدا[1]. اهـ .

وعلى درب الملائكة سار ركب المؤمنين ، وعلت بهم هممهم ورغبتهم في الحج والرحلة إلى الله .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : كأني أنظر إلى موسى بن عمران منهبطا من ثنية هَرْشَى ماشيا »[2].

وحج الحسن بن علي خمسا وعشرين حجة ماشيا. وإن النجائب لتقاد معه، ولقد قاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، حتى كان يعطي الخف، ويمسك النعل[3].

وهذا الأسود بن يزيد الإمام القدوة يحج ثمانين ، ما بين حجة وعمرة[4].

وشيخ وقته أبو عثمان النهدي حج ستين مرة ما بين حج وعمرة[5].

○ صد الفُجَّار ○

وعلى الطرف الآخر شذاذ لا يعظمون حرمات الله ، ويريدون الإلحاد في البيت ومنع الناس من زيارته .

---

(١) قال الألباني في [السلسلة الصحيحة : ١ /٢٣٦] : « رجاله ثقات ، غير خالد بن عرعرة ، وهو مستور » ، ثم ذكر أن له شاهدًا مرسلا صحيحا عن الرسول ﷺ من رواية قتادة ، قال : ذكر لنا أن النبي ﷺ قال يوما لأصحابه : « هل تدرون ما البيت المعمور » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه مسجد في السماء ، تحته الكعبة ، لو خرّ لخرّ عليها » ، ثم قال الألباني : « وجملة القول أن هذه الزيادة (حيال الكعبة) ثابتة بمجموع الطرق » .

(٢) صحيح ابن حبان . إسناده صحيح .

(٣) أضواء البيان : ٥ /٧٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٤ /٥١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٤ /١٧٧ .

○ أ - القرامطـــة ○

فهذا أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي يدخل مكة في ذي الحجة سنة سبع وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا ، وقطع الركن يوم النحر وهو القائل لعنه الله :

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار فوقنا صبّا
لأننا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تبق شرقا ولا غربا
وأنا تركنا بين زمزم والصفا كتائب لا تبغي سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله ولم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا[(١)]

قتل اللعين في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنساء ، وهم متعلقون بالكعبة وردم بهم زمزم ، وفرش بهم المسجد وما يليه .

وقتل في سكك مكة وشعابها من أهل خراسان ، والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفا ، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك .

واقتلع الحجر الأسود من موضعه يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، وذهب به معه إلى هجر فأقام عند القرامطة إلى أن رُدَّ في يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

اثنان وعشرون سنة إلا أربعة أيام يُزال الحجر من موضعه ، والمزيل له القرامطة . وبطل الحج من العراق بسبب هذا القرمطي اللعين ثلاث سنين متوالية من هذه السنة[(٢)] .

---

(١) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٦٣ . محمد بن مالك الحمادي . تحقيق د / محمد زينهم - دار الصحوة للنشر .

(٢) انظر العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين . للفاسي المكّي : ص (٧٤ ، ١٨٥) - مطبعة السنة المحمدية .

هذا اللعين الذي كان يقول عند الكعبة : أين الطير الأبابيل ؟ .

وفي هذا كان يقول شاعرهم على منبر الجامع في الجند :

خذي الدف يا هذه والعبي وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعه وهذي شرائع هذا النبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تمنعي نفسك المعرسين من أقربين ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء حلالا فقدست من مذهب[1]

○ ب – أصحاب التصوف الفلسفي ○

هؤلاء الفجار سار على دربهم قوم لهم صلة وثيقة بآراء الشيعة ، وهم أصحاب التصوف الفلسفي فنصيبهم من الصد عن البيت وافر .

• ١ – الحلّاج :

فهذا الحلاج يقول : من أراد الحج ولم يتيسر له ، فليبن في داره بيتا لا يناله شيء من النجاسة ، ولا يمكّن أحدا من دخوله ، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام ، وليطف به كما يطاف بالكعبة ، ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة ، ثم يستدعي بثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه ، ويتولى خدمتهم بنفسه ،

(١) كشف أسرار الباطنية : (ص ٥٨ ، ٥٩) .

ثم يكسوهم قميصا قميصا ، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم ، - أو قال : - ثلاثة دراهم ، فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج[١]. اهـ . فهو رائد فكرة الحج بالهمة .

• **الحج بالهمة :**

هي من صور الدعوة إلى العدمية وإسقاط التكاليف التي بدت في فلسفة الحلاج الصوفية .

والصوفية يُنسبون إلى رابعة[٢] التبشير بفكرة (الحج بالهمة) فقد روى مؤرخهم فريد الدين العطار - وهو كاذب عليها - أنها بينما كانت في طريقها إلى الكعبة ذات يوم ، وبقيت وحدها في الصحراء ، قالت : إلهي إن قلبي مضطرب وسط هذه الدهشة أنا لبنة والكعبة حجر ، وما أريده هو أن أشاهد وجهك ، فناداها حينئذ صوت من عند الله تعالى يقول : « يارابعة أتعملين وحدك ما يقتضي دم الدنيا كلها ، لما أراد موسى أن يشاهد وجهنا لم نلق إلا ذرة من نورنا على جبل فخر صعقا ». بل لم يقف الأمر فيما رواه فريد الدين العطار عند هذا الحد ، بل نراه يصور الكعبة ، وقد انتقلت إلى رابعة .. هكذا !!، فمما يرويه عن إبراهيم ابن أدهم[٣] وقد قطع طريقه إلى الكعبة في أربعين سنة لكثرة تعبده أثناء الطريق ، وقد وصل إلى الكعبة فلم يجدها ، فقال نائما : واأسفاه ، أصرت أعمى حتى لا أرى الكعبة ؟ فسمع صوتا يقول : « يا إبراهيم ، لست أعمى ، ولكن الكعبة قد ذهبت للقاء رابعة ..» هكذا .. ولتكتمل صورة الشطح والموقف من الكعبة فيما نسبوه زورا إلى رابعة ، نرى العطار يصورها في السنة التالية تقصد

---

(١) البداية والنهاية : ١١ /١٥١ .

(٢) جمهور أهل العلم على أنها تقية ورعة زاهدة عابدة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، ويكفيك ما تراه في سير أعلام النبلاء في ترجمتها لتلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الحافظ الذهبي.

(٣) سيد من سادات أهل السنة والجماعة أثنى عليه ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن مفلح .

الذهاب إلى الكعبة بعد أن أتت الكعبة إليها ، ولكنها في هذه المرة ، تذهب إليها متقلبة على أضلاعها في الصحراء ، فتقضي في هذا سنوات سبعًا ، في أثناء ذلك يدور حوار بينها وبين صوت من قبل الله سبحانه وتعالى - كما يزعم الفاجر - يأتي في نهايته على لسان هذا الصوت : إن المرتبة الأولى التي يبلغها العشاق مثلها تماما إنسان تقلب على أضلاعه سبع سنوات كيما يزور جدارًا من اللبن .

ولما اقتربت من هذا الجدار أغلق الطريق على نفسه نتيجة عائق نشأ عن شخصه (وذلك ؛ لأن رابعة وهي في هذه الحالة أتاها الحيض فأصبحت غير طاهرة ، عندئذ قالت رابعة وهي يائسة : إلهي لا تدعني كي أبقى في بيتي ، ولا تريد أن تقبلني في بيتك ، فإما أن تدعني أقيم هادئة في بيتي بالبصرة ، أو اسمح لي أن أدخل الكعبة ، وهي منزلك ، لقد فتشت عنك قبل أن أحني رأسي أمام الكعبة ، دعني إذن أذهب فلست جديرة بدخول بيتك[(١)] . وعلى كلام العطار هذا .. يبدو لديها أنه لا فرق بين بيته سبحانه وتعالى ، وبين بيتها في البصرة ، فالعبرة هنا ليست بالبيت هنا أو هناك ، وإنما العبرة برب البيت .

بل وينسبون إليها أنها قالت عن الكعبة : « ذلك الصنم المعبود في الأرض ما ولجه الله ولا دخله » ونفي ذلك عنها ابن تيمية[(٢)] .

هذا ما صرّح به الحلاج بإمكان الاستغناء عن الذهاب إلى مكة بالحج بالطواف حول غرفة يطيبها ويطهرها ويطوف بها ويكون كمن حج البيت[(٣)] .

هذا ما يسميه العلماء بفكرة الحج بالهمة عند الحلاج[(٤)] .

---

(١) فريد الدين العطار . تذكرة الأولياء : ١ /٥٩ - ٧٣ . و د / عبد الرحمن بدوي في [شهيدة العشق الإلهي] : ص (١٤٦ - ١٤٧) .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل . لابن تيمية جـ١ ص٧٠ ، القاهرة سنة١٩٢٢ م .

(٣) شخصيات قلقة في الإسلام ص ٧٦ ،٧٧ .

(٤) في التصوف الإسلامي نشأته وتطوره. د/ عبد الحي قابيل ص ٧٧-٧٩ ، ٢٩٤-٢٩٨.

بل زاد الطين بلة فقال :

ألا أبلـغ أحبـائي بـأني ركبت البحر وانكسر السفينة
على دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أريد ولا المدينة[١].

• ٢ - ابن الفارض :

وانظر إلى ابن الفارض شيخ الاتحادية حيث يقول :

وقلبي بيت فيه أسكن ، دونه ظهور صفائي عنه من حجبيتي
ومنها يميني فيّ ركن مقبل ومن قبلتي للحكم في فيّ قبلتي
وحولي بالمعنى طوافي حقيقة وسعيي لوجهي من صفائي لمروتي
وفي حرم من باطني أمن ظاهري ومن حوله يخش تخطّف جيرتي[٢]

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله في تعليقه على هذه الأبيات :

يريد أن يقول : إنه إذا طاف فإنما يطوف حول نفسه ، وإذا سعى بين الصفا والمروة ، فإنما يسعى لوجهه ، وذلك ؛ لإيمانه بأن العابد والمعبود عين واحدة . ولقد أقسم لي صوفي : إنه ليس ممن يطوفون حول الكعبة بل هو ممن تطوف حولهم الكعبة . ا هـ . فأين هؤلاء من الزهاد كأبي عمرو الزجاجي ، أقام بمكة أربعين سنة لم يبل ولم يتغوط في الحرم[٣].

○ جـ - البهائيـة ○

وعلى الطريق صارت البهائيـة .

---

(١) الديوان المقطوعة ٥٦ نقلًا عن نشأة التصوف الإسلامي . د/ إبراهيم موسى .

(٢) مضرع التصوف . للبقاعي ص ٧٢ .

(٣) العقد الثمين ص ٤٢ .

فالحج عندهم حج للبيت الذي أقام فيه حسين علي « البهاء » في بغداد والبيت الذي سكنه علي محمد الشيرازي بشيراز الحج للبيت الأعظم في بغداد ، وبيت النقطة في شيراز[١].

وهذا واجب على الرجال دون النساء مع دعواهم المساواة بين الرجال والنساء ، يقول حسين علي البهاء المازندراني :

قد حكم الله لمن استطاع منكم حج البيت دون النساء ، عفا الله عنهن رحمة من عنده إنه لهو المعطي الوهاب[٢].

ثم الحج للدارين لم يحدد له الزمن ولا تخصيص ولا تفضيل لواحدة منهما على الأخرى بل قيل :

أيهما أقرب من الحاج يحج إليها[٣].

وأكثر من ذلك أنه لم يذكر لا في الأقدس[٤]، ولا في غيره تفاصيل الأعمال التي يؤدونها في الحج وكيف تؤدى ولا الزمن الذي يكون الحج فيه . وأطرف من هذا أن البيتين - كعبة البهائيين - لا يوجد لهما أثر .

○ د - القاديانيـــة ○

وعلى الطريق سار دجال بل شيطان القاديانية غلام أحمد عميل إنجلترا، فقال عن مسجد القاديان : قد أنزل الله قوله في القرآن ﴿ **ومن دخله كان آمنا** ﴾ وصفا لمسجدي في القاديان[٥].

(١) البهائية نقد وتحليل. إحسان إلهي ظهير ، الناشر : إدارة ترجمان السنة.

(٢) الأقدس للمازندراني الفقرة ٦٨ .

(٣) رسالة سؤال وجواب نقلا عن : خزينة حدود وأحكام ص ٦٨ .

(٤) كتاب البهاء الكافر ، وهو قرآن البهائية .

(٥) القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص ١٢٣ نشر : إدارة ترجمان السنة نقلًا عن : إزالة الأوهام ص ٧٥ للغلام القادياني .

وقال شاعرهم عن القاديان : ماذا أقول لك أنت ؟ القبلة والكعبة أو مسجد الملائكة .

وخطب الخليفة القادياني الجمعة وقال فيها : إن القاديان موضع سرة في الدنيا ، وهي أم القرى .

وقال الدجال أيضًا في كتابه [حقيقة الرؤيا] :

إن القاديان هي أم القرى فالذي ينقطع عنها، يقطع ويمزق، فاتقوا من أن تقطعوا وتمزقوا، وقد انقطع ثمرة مكة والمدينة، ولكن ثمرة القاديان ما زالت طازجة .

والحج هو الحضور في المؤتمر السنوي في القاديان ، فيقول ابن الغلام وخليفته الثاني : إن مؤتمرنا السنوي هو الحج ، وإن الله اختار المقام لهذا (الحج) القاديان .. وممنوع فيه الرفث والفسوق والجدال .

بل قال غلام أحمد نفسه : المجيء إلى القاديان هو الحج والبقاء في القاديان فقط أفضل من الحج النفلي[1] .

○ هـ - الشيعة الإمامية ○

تماما مثلما قالت الشيعة الإمامية عن كربلاء وتفضيلها على مكة ، بل والسموات السبع ، ويقول فاجرهم عن كربلاء :

هي الطفوف فطف سبعاً لمغناها   فما لمكة معنى مثل معناها
أرض ولكنما السبع الطباق لها   دانت وطأطأ أعلاها لأدناها[2]

- **الكفر ملة واحدة :**

إذا كان القضاء إلى ابن آوى   فتعويل الشهود على القرود

(١) انظر القاديانية ص ١١٣ -١١٦ .

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية .

وعلى الدرب سار الملاحدة .. فقزم مسرحي يصور الكعبة ، وفوقها راقصة تتلوى ، وبنى مسرحيته على هذا ، وهذا استهزاء بقبلة المسلمين وانسلاخ من الدين بالكلية ، بعد قيام الحجة عليه .

• لأقعدن لهم صراطك المستقيم :

صدق الله إذ يقول فيما حكاه عن الشيطان أنه قال لرب العزة : ﴿ **فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾ [الأعراف :١٦] .

فالشيطان لا يدع سبيلا من سبل الخير إلا قعد فيه يصد الناس عنه. وقد يصدهم بطريق خفي مما يوضحه لنا الشيخ عمر الأشقر في كتابه [عالم الجن والشياطين].

« قصة تروى في بعض نواحي فلسطين ، يقول الرواة : إن أحد الرجال الذين كانوا يظهرون الصلاح والتقى ، كان يفعل عجباً ، فقد كان – في ذلك الوقت الذي لم تظهر فيه الطائرة والسيارة – ينطلق إلى الحج في ليلة عرفة فيشهد ذلك اليوم مع الحجيج ، ويسلمهم رسائل من أقاربهم وذويهم ، ويأخذ منهم رسائل إلى أقاربهم ، ويعود في الليلة الأخرى ، وكان كثير من الناس يعتقد فيه الصلاح والخير ، رغم أنه ما كان يقوم بمناسك الحج ، ولا يمكث في منى المدة المقررة ، ولا يرمي الجمرات ، ثم شاء الله أن يكشف باطله ، ويظهر أمره للناس ، فعندما جاءه الموت استدعى ابنه الأكبر ، وأخبره أن جملا سيأتيه ليلة عرفة ، ويحمله إلى عرفات في كل عام ، ولما جاء الجمل وركبه الابن وسار مسافة ، وقف وتحدث إلى الابن ، وأخبره أنه شيطان ، وأن أباه كان يعبده ويسجد له ، وفي مقابل ذلك يخدمه مثل هذه الخدمات، ولما رفض الابن السجود له واستعاذ بالله منه تركه في الصحراء ، وقدر الله له الرجوع ، وكشف حقيقة أبيه الكافر » .

وقد أشار إلى هذه القصة البيانوني في كتابه الملائكة بأخصر مما أثبتناه هنا[1].

(١) عالم الجن والشياطين ص ١٠٠ – ١٠١ ، طبع دار الكتب السلفية .